

سورة الفيل

مكية وآياتها خمس آيات

بين يدي السورة

* سورة الفيل مكية ، وهي تتحدث عن قصة " اصحاب الفيل " حين قصدوا هدم الكعبة المشرفة ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وحمى بيته من تسلطهم وطغيانهم ، وأرسل على جيش " أبرهة الأشرم " وجنوده أضعف مخلوقاته ، وهي الطير التي تحمل في أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة ، ولكنها أشد فتكا وتدميرا من الرصاصات القاتلة ، حتى أهلكهم الله وأبادهم عن آخريهم ، وكان ذلك الحدث التاريخي الهام ، في عام ميلاد سيد الكائنات (محمد بن عبد الله) صلوات الهن وسلامه عليه ، سنة سبعين وخمسمائة ميلادية ، وكان من أعظم الإرهاصات الدالة على صدق نبوته (ص).

اللغة :

[أباييل] جماعات جماعات بعضها في إثر بعض ، قال الجوهري : وهو من الجمع الذي لا واحد له ، يقال : جاءت إبلك أباييل أي فرقا وجماعات ، قال الشاعر : كادث تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأباييل "

[سجيل] طين متحجر

[عصف] ورق الزرع بعد الحصاد كالتين وقشر الحنطة ، سمي عصفاً لأن الريح تعصف به ، فتفرقه ذات اليمين وذات الشمال .

التفسير :

[ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل] أي ألم يبلغك أيها الرسول ، وتعلم علما يقينيا ، كأنه مشاهد بالعين ، ماذا صنع الله العظيم الكبير بأصحاب الفيل ، الذين قصدوا الإعتداء على البيت الحرام ؟ قال المفسرون : روي أن (أبرهة الأشرم) ملك اليمن ، بنى (كنيسة)

بصنعاء وأراد أن يصرف إليها الحجيج ، فجاء رجل من كنانة ، وتغوط فيها ليلا ، ولطخ جدرانها بالنجاسة إحتقارا لها ، فغضب " أبرهة " وحلف أن يهدم الكعبة ، وجاء مكة بجيش كبير على أفيال ، يتقدمهم فيل هو أعظم الفيلة ، فلما وصل قريبا من مكة ، فر أهلها إلى الجبال ، خوفا من جنده وجبروته ، وأرسل الله تعالى على جيش أبرهة طيورا سودا ، مع كل طائر ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، فرمتهم الطيور بالحجارة ، فكان الحجر يدخل في رأس الرجل ، ويخرج من دبره فيرميه جثة هامدة ، حتى أهلكهم الله ودمرهم عن آخرهم ، وكانت قصتهم عبرة للمعتبرين . قال أبو السعود : وتعليق الرؤية بكيفية فعله جل وعلا [كيف فعل] لا بنفسه بأن يقال : ألم تر ما فعل ربك " إلخ لتحويل الحادثة ، والإيدان بوقوعها على كيفية هائلة ، وهيئة عجيبة ، دالة على عظم قدرة الله تعالى ، وكمال علمه وحكمته ، وشرف رسوله ، فإن ذلك من الإرهاصات ، لما روي أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي عليه الصلاة والسلام

[ألم يجعل كيدهم في تضليل] أي ألم يهلكهم ويجعل مكرهم وسعيهم ، في تخريب الكعبة في ضياع وخسار ؟ !

[وأرسل عليهم طيرا أبابيل] أي وسلط عليهم من جنوده طيرا أتتهم جماعات ، متتابعة بعضها في إثر بعض ، وأحاطت بهم من كل ناحية [ترميهم بحجارة من سجيل] أي تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر ، كأنها رصاصات ثقابة ، لا تصل إلى أحد إلا قتلته

[فجعلهم كعصف مأكول] أي فجعلهم كورق الشجر ، الذي عصفت به الريح ، وأكلته الدواب ثم راثته ، فأهلكهم عن بكرة أبيهم ، وهذه القصة تدل على كرامة الله للكعبة ، لإنعامه على قريش ، بدفع العدو عنهم ، فكان يجب أن يعبدوا الله ، ويشكروه على نعمائه ، وفيها مع ذلك عجائب وغرائب ، من قدرة الله على الإنتقام من أعدائه ، قال في البحر :

كان صرف ذلك العدو العظيم ، عام مولده السعيد عليه السلام ، إرهابا بنبؤته ، إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول ، من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة ، بين أيدي الأنبياء عليهم السلام ، وقد أهلكهم الله تعالى بأضعف جنوده ، وهي الطير الي ليست من عادتها أنها تقتل .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

- 1- الاستفهام للتقرير والتعجب [ألم تر كيف فعل ربك . .] الآية .
- 2- الخطاب للنبي (ص) بإضافته إلى إسم الجلالة [فعل ربك] فيه تشریف للنبي العظيم ، وإشادة بقدرة الله تعالى.
- 3- التشبيه المرسل المجمل [فجعلهم كعصف مأكول] ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه ، فهو تشبيه مرسل مجمل.
- 4- توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل [الفيل ، تضليل " سجيل ، أبايل] وهو من المحسنات البديعية.